الحوار القصصي في سورة الكهف

إعـــداد
د. نورة بنت محمد بن فهد الجليل
أستاذ مساعد- كلية التربية- جامعة حفر الباطن
قسم الدراسات الإسلامية

الحوار القصصي في سورة الكهف

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المشاهد الحوارية في قصص سورة الكهف والكشف عن أوجه تفسيرية جديدة للقصص الوارد في السورة على ضوء التفسير الموضوعي، وإبراز بعض الآداب والتوجيهات التربوية المتضمنة في المواقف والمشاهد الحوارية، وقد أظهرت النتائج مايلي:

١- اتسام الحوار في القصص القرآني بالواقعية و قيامه على منهجية طلب الحقيقة وتقرير الحق.
٢- أن المشاهد الحوارية المتضمنة في القصص الوارد في السورة تنطوي ضمن موقف حواري ممثل بالسرد الرباني للقصة الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم.

وانبثقت عنها بعض التوصيات:

١- ضرورة تضمين المناهج والكتب الدراسية ما يستجد من نتائج الدراسات المتعلقة بتفسير سور القرآن.
٢- إقامة ندوات تثقيفية للتعريف بأساليب الحوار القرآني ومناهجه والآداب الحوارية المستنبطة من سورة الكهف.

(**الكلمات المفتاحية**: الحوار القصصي، سورة الكهف)

Narrative Dialogue in Surat AlKahf (the Cave)

Abstract

The study aims to shed light on the dialogue scenes in the stories of Surat Alkahf, the Cave, and to reveal new interpretations to the narration in this surah in an objective interpretation, pinpointing some educational manners and instructions in the dialogue scenes and attitudes. Results showed the following:

١. Dialogue in Quranic narration is characterized by realism, it is based on a seeking- truth and stating- right approach.

٢. Dialogue scenes implied in the narration in the surah include dialogue attitude that is narrated by God and directed to His prophet (May peace and prayer of Allah) be upon him)

Some recommendations are as follows:

١. the importance of adding new results of studies related to Quran interpretation to academic syllabus and textbooks.

٢. Debates to enlighten people about Quranic dialogue style, its methodology, manners of dialogue derived from Surat Alkahfare badly needed.

(**Keywords**: narrative dialogue, Surat Alkahf (the Cave)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله ﷻ خلق الإنسان وكرمه وفضله على سائر خلقه، وميزه بالعقل الموجه لفعله وقوله الذي يترجم تفاعله مع محيطه وتواصله مع مجتمعه، ذلك هو التواصل الفطري الذي تقوم عليه حياة البشر في كل زمان ومكان على إختلاف أساليبه وأنواعه، ولقد كان الحوار من أهم مظاهر الإتصال والتواصل بين البشر كونه الوسيلة الأساسية للتعايش والتفاهم التي لايمكن الإستغناء عنها، والقرآن الكريم يحفل بنماذج زاخرة بالأساليب الحوارية التي تصرفت في أشكال وصور مختلفة سواء أكانت بين الخلق على إختلاف أنواعهم أو أحد المخلوقات مع ربه عزوجل لغاية إقامة الحجة وإثبات البرهان في الموضوعات المتعلقة بإستخلاف الإنسان في الأرض والأصول التي يقوم عليها هذا التكريم أو التكليف الذي يحقق به عبوديته لله عزوجل سواء أكانت متمثلة في مشاهد قصصية ماضية أومواقف مستقبلية قادمة، وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الحوار في قصص سورة الكهف وإبراز المشاهد الحوارية فيها وماتضمنته من توجيهات وآداب تربوية وحوارية.

أهداف الدراسة:

١- الكشف عن المشاهد الحوارية في قصص سورة الكهف في ضوء التفسير الموضوعي.
٢- إبراز بعض الآداب والتوجيهات التربوية المتضمنة في المواقف الحوارية.

أهمية الدراسة:

ويمكن أن تتمثل أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

١- الكشف عن جوانب تفسيرية جديدة للمشاهد القصصية الحوارية في سورة الكهف مبنية على ماجاء في أمهات كتب التفسير.
٢- إثراء الدراسات القرآنية والأبحاث المتعلقة بالتفسير الموضوعي.
٣- فتح الآفاق أمام الباحثين والدارسين للوقوف على موضوعات القرآن الكريم والنظر في مقاصده وإبراز جوانب جديدة من أوجه إعجازه.

الدراسات السابقة:

١- قام **السعدون والطحان** (٢٠٠٨) بدراسة بعنوان" الحوار في القصة القرآنية – قصة موسى عليه السلام أنموذجا"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م ٧، ع ٤، ٢٠٠٨، هدفت إلى تحليل الحوار في قصة

موسى عليه السلام في القرآن الكريم والكشف عن السمات الموضوعية والفنية التي تضمنتها المواقف الحوارية في القصة، استخدمت الدراسة المنهج التحليلي للنصوص الحوارية القرآنية المتضمنة في القصة، وقد تناولت الدراسة الحوار ووظائفه ومفهومه وأنواعه الخارجية والداخلية المتمثلة في المواقف الحوارية في قصة موسى عليه السلام.

٢- كما قامت **شاهي وزارع** (د.ت) بدراسة بعنوان" الحوار القصصي في القرآن الكريم قراءة في ضوء مفاهيم اللسانيات الحديثة" هدفت إلى استقراء أنماط الحوار القصصي الفني ووظائفه في القرآن الكريم والكشف عن إعجاز القرآن في هذا الميدان، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي للنصوص الحوارية القرآنية، وقد تناولت الدراسة معالجة دلالات الحوار ووظائفه ومميزات اللغة الحوارية في سورة يوسف بشكل خاص.

٣- وقامت **الثقفي** (٢٠١٣) ببحث يهدف إلى تسليط الضوء على الحوار في القرآن الكريم من خلال بيان مفهوم الحوار ومرادفاته وأهميته في عرض القصة، وإبراز خصائص الحوار القرآني وأغراضه وأنواعه وإعجازه اللغوي.

والظاهر في الدراسات السابقة اتفاقها على الإطار النظري لمفهوم الحوار ووظائفه، واسقاط أنواع الحوار القصصي الفني على نماذج من المقاطع الحوارية المتضمنة في قصص القرآن كما في دراستي السعدون وزارع.

وبالرغم من إتفاق هذه الدراسة مع سابقاتها في الإطار النظري إلا أنها تميزت عنها بتغطية المشاهد والنصوص الحوارية في موضوع قصص سورة الكهف وتحليلها وإبراز ما انطوت عليه من توجيهات تربوية وحوارية، وهو أيضا مما لم يبحث من قبل – على حد علم الباحثة – في بحث مستقل.

خطة الدراسة:

قامت الباحثة بتقسيم الدراسة إلى مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

أولا: التعريف بسورة الكهف من حيث اسمها وسبب نزولها ومكيتها وعدد آياتها ومناسباتها وقصصها وأهدافها ومقاصدها.

ثانيا: مفهوم الحوار، ويشتمل على تعريف الحوار والفرق بينه وبين الجدل ودوره في القصة القرآنية.

المبحث الثاني: المشاهد الحوارية في قصص سورة الكهف

أولا: قصة أصحاب الكهف.

ثانيا: قصة المؤمن وصاحب الجنتين.

ثالثا: قصة موسى والخضر عليهما السلام.

رابعا: قصة ذي القرنين.

الخاتمة وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول وفيه:

المطلب الأول: التعريف بسورة الكهف :

أولا: تسمية السورة وفضلها :

سميت سورة الكهف لبيان قصة أصحاب الكهف العجيبة فيها مما هو دليل مما هو دليل حاسم على ملموس على قدرة الله الباهرة(١) انظر الزحيلي، التفسير المنير،١٥،١٩٩٨/ ١٩٦، وقد وقعت هذه التسمية للسورة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الواردة في فضلها وشرفها وبركة قراءتها وتدبر معانيها: منها ماروي عن البراء بن عازب أنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشنطتين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال:" تلك السكينة تنزلت بالقرآن "(٢)البخاري، صحيح البخاري، ٦/ ١٨٨ ، وكقوله صلى الله عليه وسلم:" من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال "(٣) النيسابوري، صحيح مسلم، د.ت،١/٥٥٥، وقوله:"من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين" (٤) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ٢،١٩٩٠/٣٩٩ .

ثانيا:سبب النزول:

ماذكره كثير من أهل التفسير" أن قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعتبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما: سلوهم عن محمد وصفته، وأخبروهم

بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم من العلم ماليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى إذا قدما إلى المدينة فسألوا أحبار اليهود عن أحوال محمد، فقال أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث: عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ماكان من أمرهم، فإن حديثهم عجب، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ماكان من نبؤه، وسلوه عن الروح وماهو؟ فإن أخبركم فهو نبي، وإلا فهو متقول، فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالا: قد جئناكم بفصل مابيننا وبين محمد، وأخبروا بما قاله اليهود، فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبركم عنه غدا، ولم يستثن – لم يقل: إن شاء الله – فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم– فيما يذكرون – خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة به، وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة ليلة، فشق عليه ذلك، ثم جاءه جبريل من عند الله بسورة أصحاب الكهف، وفيها معاتبة الله إياه على حزنه عليهم، وفيها خبر أولئك الفتية، وخبر الرجل الطواف" (٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩٩٩، ٢١/ ٤٢٨

ثانيا: مكان نزولها وعدد آياتها :

المشهور بين العلماء أن سورة الكهف مكية كلها، وأنها من السور التي نزلت جملة واحدة (٦)عبدالله شحاته، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، ١٩٧٦،٢٠٠، فكان نزولها على النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المكي في بدء أطوار الدعوة لتصحيح العقيدة وإعلان الواحدانية فكان ذلك المحور الموضوعي للسورة الذي ارتبطت به موضوعاتها التي غلب عليها العنصر

القصصي ففي أولها "قصة أصحاب الكهف وبعدها قصة أصحاب الجنتين ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس وفي وسطها قصة موسى مع العبد الصالح ثم في نهايتها قصة ذي القرنين، وعدد آياتها مائة وعشر آيات (٧) الشوكاني، فتح القدير،٢٠٠٩، ٣/٢؛ سيد قطب ،١٩٩٢،٤/٢٢٥٥

ثالثا: مناسبات السورة:

أ- **المناسبة بين السورة وما قبلها:**

وذكر في مناسبة سورة "الكهف" لما قبلها "الإسراء" عدة أوجه أشهرها:

١- افتتاح ماقبلها بالتسبيح وافتتاحها بالتحميد حيث أن التسبيح سابق للتحميد في القرآن وسائر الكلام يقول فخر الدين الرازي:" إن التسبيح أينما جاء فإنما جاء مقدما على التحميد، ألا ترى أنه يقال: سبحان الله والحمد لله إذا عرفت هذا فنقول: إنه جل جلاله ذكر التسبيح عندما أخبر أنه أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال:" سبحان الذي أسرى بعبده ليلا" الإسراء:١، وذكر التحميد عندما ذكر أنه أنزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم فقال: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وفيه فوائد... أن التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لاينبغي وهو إشارة إلى كونه كاملا في ذاته والتحميد عبارة عن كونه مكملا لغيره، ولاشك أن أول الأمر هو كونه كاملا في ذاته ونهاية الأمر كونه مكملا لغيره فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا(سبحان الله) ثم ذكر بعده الحمد لله

تنبيها على أن مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية. إذا عرفت هذا فنقول: ذكر عند الإسراء لفظ التسبيح وعند إنزال الكتاب لفظ التحميد وهذا تنبيه على أن الإسراء به أول درجات كماله وإنزال الكتاب غاية درجات كماله"(٨) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩٩٩، ٢١/ ٤٢١، وانظر السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ١٩٨٦، ٩٩

٢- اختتام ماقبلها بالتحميد وافتتاحها بالتحميد أيضا من باب تشابه الأطراف، يقول فخر الدين البقاعي:" لما ختمت تلك بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمد عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدأت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم" (٩) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،د.ت، ١٢/ ٢؛ وانظر السيوطي، تناسق الدرر، ١٩٦٨، ٩٩ .

ب-**المناسبة بين السورة ومابعدها:**

"لما قال تعالى :" **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا**"

الكهف: ٩. ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والخضر، وقصة ذي القرنين، اتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب ماهو أشد عجبا وأخفى سببا، فافتتح سورة مريم بقصة يحي بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج، حتى سأل زكريا مستفهما متعجبا "أنى

يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) مريم:٨ فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هين، وأنه يجعل ذلك آية للناس وأمر هذا أعجب من القصص المتقدمة، فكأن قد قيل: أم حسبت يامحمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا نحن نخبرك بخبرهم ونخبرك بها هو أعجب وأغرب وأوضح آية" (١٠)الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، ٢٠٠٧، ١٢٨

ج- المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

لما ابتدأت السورة بذكر إنزال الكتاب وإثبات الوحي وتصحيح العقيدة وتقرير التوحيد وتبشير من آمن وإنذار من أعرض جاء في ختامها تقرير ذلك وتأكيده قال تعالى:" **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا* قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا**" الكهف:١٠٩-١١٠، إذ ختمت بالحديث عن آيات الله تعالى وإعلان التوحيد ونفي الشريك من ولد وغيره والبشارة بحسن الجزاء لمن آمن والوعيد لمن أعرض وأشرك (١١) انظرالبقاعي،د.ت، ١٢/ ١٥٥، يقول سيد قطب:" وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية وانكار الشرك وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث" سيد قطب: في ظلال القرآن،١٩٩٢ ٢٢٥٧/٤ .

د- المناسبة بين مقاطع السورة:

تدور مقاطع السورة الكريمة وتنتظم حول محورالهدف الأساسي الذي من أجله أنزل القرآن وهو إيضاح المنهج الرباني الذي يبرز معالم النجاة والعصمة من أمواج الفتن المتلاطمة: فتنة السلطان، وفتنة الأهل والعشيرة، وفتنة المال، وفتنة الولد، والإغترار بالدنيا الفانية، وفتنة إبليس اللعين، وفتنة العلم، وفتنة يأجوج ومأجوج، وفتنة الأهواء(١٢) انظر أحمد الشرقاوي، التفسير الموضوعي لسورة الكهف، ٢٠٠٧، ٦-٨.

رابعا: القصص الوارد في السورة الكريمة:

١- قصة أصحاب الكهف: التي تصور صدق الإيمان وقوة العقيدة وإيثارها على زينة الأرض ومتاعها، فهم فتية مؤمنون رأوا قومهم يتخبطون في ضلال الشرك ففروا بدينهم وتركوا أوطانهم ومصالحهم واعتزلوا قومهم ولجأوا إلى كهف حيث لايراهم أحد من الخلق حفاظا على عقيدتهم من شوائب الشرك فمكثوا فيه نياما ثلاث مائة وتسع سنين ثم بعثهم الله بعد تلك المدة المكتوبة لإثبات مطلق قدرته تعالى" على مخالفة السنن التي ألفها الناس وظنوا أنها مستعصية على كل مخلوق"(١٣) عبدالله شحاته، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ١٩٧٦، ٢٠٢، وتبدأ هذه القصة من الآية التاسعة حتى السادسة والعشرون.

٢- قصة المؤمن وصاحب الجنتين: وهي من القصص الوارد في السورة على هيئة مثل يصور نموذجا لرجل متكبر مغتر بدنياه ومؤثرا إياها على آخرته

وآخر مؤمن معتز بعقيدته وإيمانه وعاقبة حال كل منهما، وتقع هذه القصة بين الآية الثانية والثلاثين إلى الرابعة والأربعين.

٣- قصة إبليس واستكباره عن السجود لآدم: وتمثل هذه القصة غرور إبليس وتكبره وامتناعه عن السجود لآدم مفتخرا بأصل خلقه وخروجه عن أمر ربه الذي بسببه طرد من رحمة الله تعالى، وتقع هذه القصة بين الآية الخمسين والثالثة والخمسون.

٤- قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: وتمثل هذه القصة التواضع في سبيل طلب العلم والصبر على مشاقه، فموسى عليه السلام قد بلغ مبلغا عظيما من العلم والمنصب وأوحي إليه أن هناك من اختصه الله بعلم أوفر من علمه هو العبد الصالح (الخضر عليه السلام)، فسافر موسى إليه ليستزيد من علمه حتى لقيه وصحبه وماتخلل تلك الصحبة من أحداث غيبية لم يعرف موسى عليه السلام مراميها حتى أعلمه بها ذلك العبد الصالح كخرق السفينة وحادثة قتل الغلام وبناء الجدار، وتنحصر هذه القصة بين الآية الستين والثانية والثمانون.

٥- قصة ذي القرنين: التي تمثل النموذج الطيب للحاكم الصالح الذي مكن الله له في الأرض وسخر له الأسباب والآلات والمواصلات، فيستغل ذلك فيما يعم نفعه ويبقى أثره إذ يتمكن من السيطرة على مشارق الأرض ومغاربها فينشر العدل ويساعد المتخلفين ويستخدم مايسر له من القوة في

الإعمار والإصلاح ودفع العدوان واحقاق الحق(١٤) انظر شحاته، ١٩٧٦، ٢٠٤

خامسا: أهداف السورة ومقاصدها:

١- تبدأ السورة بالحمد لله الذي أنزل على عباده الكتاب تبشيرا للمؤمنين وإنذارا للمشركين وملقنيهم من أهل الكتاب (١٥) انظرقطب،١٩٩٢، ٢٢٥٩/٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،١٥،١٩٨٤/٢٤٥.

٢- تصحيح العقيدة وتقرير الوحدانية(١٦) انظر قطب، ١٩٩٢، ٢٢٥٧/٤،وإنذار المعاندين الذين نسبوا لله الولد، كما في قوله تعالى :"وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا" الكهف: ٣ وقوله تعالى:" وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا" الكهف: ١٣ .

٣- تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاده وتثبيته، وأن الحق فيما أخبر به، وأن أصحابه الملازمين له خير من صناديد قريش (١٧) ابن عاشور،١٥،١٩٤٨/٢٤٦، كما في قوله تعالى:" وأتل ماأوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا" الكهف: ٢٧.

٤- إثبات البعث واليوم الآخر والجزاء وتصحيح المفاهيم الخاطئة كما في" قصة أصحاب الكهف التي ساقها الله حقيقة من حقائق التاريخ الواقعية دليلا على قدرته وتنظير لما ينكره الكافرون من أمر البعث والنشور " (١٨)شحاته، ١٩٧٦،٢٠٨ .

٥- بيان عجيب تدبير الله تعالى وتصرفه وحكمته في خلقه (١٩) انظر شحاته،١٩٧٦، ٢١٠-٢١١.

المطلب الثاني:

أولا: مفهوم الحوار :

الحوارلغة: أصله من الحور وهو الرجوع عن الشيء و إلى الشيء(٢٠)ابن منظور، لسان العرب،١٩٩٠،٤/ ٢١٧ فيقال حار إذا رجع (٢١) ابن فارس، مقاييس اللغة،١٩٧٩،٢/١١٧ ؛ وانظر الرازي، مختار الصحاح، ١٩٩٩،١/٨٤ ، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم الفيروز(٢٢) آبادي، القاموس المحيط ، ١٥/٢،والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة(٢٣) ابن منظور،١٩٩٠، ٢١٨/٤ يقال حاورته إذا راجعته الكلام ،وكلمته فما رجع إلي حوارا (٢٤) المرجع السابق، والمحورة :من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة قال الشاعر :

لحاجة ذي بث ومحورة له كفى رجعها من قصة المتكلم. (٢٤)المرجع السابق ٢١٨-٢١٩

والمحاورة: المجاوبة، والتحاور والتجاوب (٢٥) الرازي –مختار الصحاح،١٩٩٩، ١/ ٨٤ . ويقال : كلمته فما أحار إلي جوابا، وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا، أي مارد جوابا.(٢٦) ابن منظور،١٩٩٠،٤/ ٢١٨ ، والمحاورة والحوار: المرادة في الكلام(٢٧) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن،١٩٩٢،٢٦٢ .

الحوار في الاصطلاح:" مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي".(٢٧)صالح حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ١٩٩٤،٦.

ثانيا: الفرق بين الحوار والجدل:

الجدل لغة: شدة الفتل وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله(٢٨) ابن منظور، لسان العرب،١٩٩٠، ١٠٣/١١ ، والجدل، محركة: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها(٢٩) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥، ٩٧٦/١، وجادله: أي خاصمه مجادلة وجدالا والإسم الجدل وهو شدة الخصومة(٣٠) ابن منظور، ١٩٩٠، ١٠٣/١١.

وعرف اصطلاحا أنه: نوع من الحوار والمناقشة يتصف بالصراع والخصام والنزاع الكلامي، بين فردين لهدف تحقيق الغلبة باظهار الإتجاهات والمذاهب والآراء، بالأدلة ونفي حجج الخصم ودحضها وتفنيدها من أجل احقاق حق أو ابطال باطل، أو من أجل ابطال حق أو احقاق باطل، وهذا يتوقف على مدى براعة المتجادلين ومايستندون إليه من أدلة وحجج(٣١) يوسف عساكر، الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته، ٢٠٠٥، ٢٧

وبذلك ينقسم الجدل بحسب غايته وماهيته إلى قسمين:

١- الجدل المحمود: وهو ماكان مستندا فيه المجادل إلى ثوابت علمية أو براهين عقلية ونقلية بهدف احقاق حق أو ابطال باطل، وهو المقصود

بقوله تعالى:" وجادلهم بالتي هي أحسن " النحل:١٢٥، والجدل بهذه الحال داخل في مفهوم الحوار وإن أخذ شكل الخصومة فقد اجتمع اللفظان لنفس الدلالة في وصف الحوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وخولة بنت حكيم رضي الله عنها في مطلع سورة المجادلة:" قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما" المجادلة:١

٢- الجدل المذموم المنهي عنه: وهو كل حوار افتقر إلى الجدية والفائدة، أو لم يكن مستندا إلى أية ثوابت أو براهين عقلية أو نقلية، أو كان متعلقا بتقرير باطل وطلب الغلبة فيه وهو المقصود بقوله تعالى:"مايجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد " غافر:٤

وقد بين الباحث محمد حسين فضل الله الفرق في الإصطلاح اللغوي بين معنى كل من كلمتي الحوار والجدل: فكلمة الحوار أوسع مدلولا من كلمة جدل إذ أن الجدال يأخذ شكل الصراع ويوحي بالخلاف مما يحول الموقف الحواري إلى صدام تهيمن عليه أجواء التوتر الفكري والنفسي، في حين أن الحوار يتسع لكل أساليب التخاطب سواء أكانت توحي بالخلاف والصراع أم لا فيشمل الجدل وغيره.(٣٢)انظر فضل الله، الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته ، ١٩٩٦، ٤٩-٥٤.

ثالثا: الحوار في القصة القرآنية :

يعتبر الحوار عنصرا أساسيا في البناء القصصي، إذ يعد آداة هامة في تصوير الشخصيات و منفذا للكشف عن طبيعتها، ويشكل الحوارعنصرا هاما في أغلب القصص القرآني في إطار السرد التاريخي كما في قصص الأنبياء عليهم السلام فيجعل مشاهدها حاضرة تملأ الأسماع والأبصار، مما يبعث الحياة في القصة القرآنية ويجعلها أكثر تعبيرا للمعنى والهدف الذي سيقت لأجلهما.

يقول عبدالكريم الخطيب في كتابه قصص القرآن في منطوقه ومفهومه،د.ت، ١٢٨ : " وللحوار في القصص القرآني سمة خاصة، لانجد لها أثرا في القصص الأدبي على الإطلاق ،وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين ذلك أننا في القصص القرآني لانجد فرصة أبدا نتفلت فيها من هذا الشعور الذي يستولى علينا من أننا إزاء شخصيات واقعية لها وجودها الذاتي ولها منطقها وتفكيرها ولها منزعها وإرادتها في الموقف الذي تقفه في الحدث ".

المبحث الثاني : المشاهد الحوارية في قصص سورة الكهف :

أولا : قصة أصحاب الكهف :

قال تعالى :(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا * وكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا * وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا * سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ

كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاء ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا * وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) الكهف:٩-٢

يستهل المشهد القصصي لأصحاب الكهف بموقف حواري أحادي ممثل بالخطاب الرباني الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم في إجابته عن تساؤلات المشركين له على سبيل الامتحان مع اقتضاء وجود الطرف المتلقي وهو النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره المتلقي الأول الذي يقتضي منه الإنصات والسماع للخطاب والجواب الذي قرر له بأن قصة أصحاب الكهف وإن كانت خارقة للعادة فهي ليست كذلك بجانب دلائل القدرة الإلهية "ففي صفحات هذا الكون من العجائب وفي ثناياه من الغرائب مايفوق قصة أصحاب الكهف والرقيم "(٣٢) سيد قطب، في ظلال القرآن،١٩٩٢، ٢٢٦٢، وأمر استحضارها،

ثم ينتقل السياق إلى عرض ملخص إجمالي للقصة فهم فتية لايعلم عددهم، استقربهم الأمر إلى الكهف واللجوء إلى الله بالدعاء والتضرع ورجاء النصر والتوفيق، ويتمثل في الدعاء موقف حواري بين الفتية كطرف أول وربهم جل وعلا الطرف الثاني وإن كان تجاوب الثاني كان يقتضي استجابة فعلية تمثلت

بإجابة دعائهم وشمولهم بالعناية الربانية بإلقاء النوم عليهم مدة لبثهم في الكهف، ثم بعثهم من مرقدهم لغاية اختبار الحزبين أيهم أدق إحصاء" إذ الفتية هم الحزب الأول إذ ظنوا أنهم لبثهم قليلا، والحزب الثاني أهل المدينة الذين بعث فيهم الفتية على عهدهم، حين كان عندهم التاريخ لأمر الفتية " (٣٤)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩٩٣، ٥/ ٢٣٦-٢٣٧،وقيل : " الفريقان من المؤمنين والكافرين من أصحاب الكهف المختلفين في مدة لبثهم " (٣٥)الشوكاني،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، ٢٠٠٩، ٦/٢، والجمهور على القول الأول. (٣٦) القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ٥،١٩٩٣/٢٣٧

ثم بعد هذا التلخيص يأخذ السياق في عرض تفصيلي للقصة إذ لايزال الحوار الآحادي مستمر المتمثل بالسرد الرباني للقصة: فهم شباب وأحداث" آمنوا بربهم "أي صدقوا بوجوده ووجوب عبادته وتوحيده فيها"وزدناهم هدى ": " أي هداية إلى معرفة الحق من محاب الله تعالى ومكارهه "،(٣٧)الجزائري، أيسر التفاسيرلكلام العلي الكبير،٣،٢٠٠٣/ ٢٤٢ "وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الأصنام ويذبح لها ويكفر بالله، وقد تابعه على ذلك أهل المدينة، فوقع للفتية علم من بعض الحواريين فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس، فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله؛ فرفع أمرهم إلى الملك وقيل له: أنهم قد فارقوا دينك واستخفوا آلهتك وكفروا بها، فأستحضرهم الملك إلى مجلسه وأمرهم باتباع دينه والذبح لآلهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل؛ فقالوا له:"ربنا رب السماوات والارض"(٣٨)القرطبي، ١٩٩٣، ٥/٢٣٥، وعليه يكون

قيامهم بين يدي ملكهم الجائر في موقف حواري هم طرفه الأول وملكهم الطرف الثاني يعضده الإشارة إلى الربط على قلوبهم وتقوية عزائمهم لما يقتضيه المقام من حاجة إلى الربط على القلب للصمود أمام ملكهم حيث خالفوا دينه، وإن لم يذكر السياق تفاصيل هذا الحوار إذ يقتصر على ذكر قولهم الذي انتهى إليه الجدال وظهر فيه ثباتهم على الحق، وقيل يقصد بقيامهم " أنهم اجتمعو وراء المدينة من غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أكبر القوم: اني لأجد في نفسي شيئا. إن ربي رب السماوات والأرض، فقاموا جميعا فقالوا: "ربنا رب السماوات والأرض" (٣٩)الشوكاني،٢٠٠٩،٢/٧ وعلى ذلك يكون المشهد الحواري بين الفتية أنفسهم دون ذكر التفاصيل والإقتصار على النتائج، ويمثل هذان المشهدان حوار ترميزي ينم عن الشخصية الجماعية للفتية المتمثلة بالثبات والإعتزاز بالإيمان والقوة في الحق، وفيه فضيلة القوة والجرأة في التصريح بالحق والثبات عليه في المنشط والمكره.

ثم يردف السياق بموقف حواري آخر بين الفتية أنفسهم – يكون تابعا للموقف الحواري السابق على التقدير الثاني لمعنى قيامهم – إذ "يلتفتون إلى ماعليه قومهم فيستنكرونه ويستنكرون المنهج الذي يسلكونه في تكوين العقيدة "هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه من آلهة لولا يأتون عليه بسلطان بين" فهذا هو طريق الإعتقاد : أن يكون للإنسان دليل قوي يستند إليه، وبرهان له سلطان على النفوس والعقول "(٤٠)سيد قطب، ١٩٩٢، ٤/٢٢٦١، فيحرم عبادة غير الله

تعالى لإنعدام الأدلة العقلية والنقلية، وفيه ضرورة العلم بموضوع والحوار و الإستناد على ثوابت النقل أو براهين العقل.

ثم يتباحثون مايتوجب عليهم فعله بعدما افتضح أمر ايمانهم وأنكر قومهم ملتهم فيصل بهم الأمر للفرار بدينهم وهجرة عبادة الأوثان والصبر على فراق الأهل والأوطان خوفا من الفتنة وحفظا لصحة العقيدة واحتساب رحمة الله تعالى وعنايته ونصرته.

ثم يواصل السياق الكريم عرض قصة أصحاب الكهف بمشهد يستكمل فيه الحوار الآحادي الذي ابتدأت به القصة فيصور حال الفتية بعدما أووا إلى الكهف واللطف الرباني الذي أحاطهم فلا تصيبهم الشمس في ابتداء النهار ولا في آخره لئلا تؤذيهم بحرها وكانت أعينهم مفتحة يحسبهم الرائي أيقاظا "ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال " لئلا تبلي التربة أجسادهم.

ثم تنقضي المدة المقدرة لرقادهم فيستيقظون إذ يتكشف السياق عن موقف حواري بين الفتية يمثل أسلوبا صريحا يقوم على ردود سريعة وإجابات متبادلة لاتحتمل التأويل أو الإيحاء إذ يبدأ بسؤال أحدهم عن مدة نومهم في الكهف فيجيب بعضهم قائلا :"لبثنا يوما أو بعض يوم " ثم يختاروا ترك الخوض في هذه المسألة ورد علمها إلى الله ﷻ إذ لافائدة ترجى من وراء البحث فيها، والأخذ بشأن عملي يلزم حالهم إذ كانوا جياعا فأشار جميعهم بإرسال أحدهم إلى المدينة لإحضار الطعام وأوصوه بالتزام الحذر والتكتم في شرائه وذهابه وإيابه لئلا

ينكشف أمرهم فيقتلوا رجما أو يفتنوا في دينهم فيخسروا دنياهم وآخرتهم إذا هم كفروا واشركو، وفيه صون الوقت والجهد عن البحث فيما لاطائل من وراءه.

ثم يكشف السياق عن المشهد الأخير لنبأ أصحاب الكهف بعثور أهل المدينة على الفتية واكتشاف أمرهم " في وقت كان أهل البلد يتنازعون في شأن البعث والحياة والاخرة هل هي بالأجسام أوالأرواح دون الأجسام فتبين لهم بهذه الحادثة أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح معا"(٤١) الجزائري، ٢٠٠٣، ٣/ ٢٤٨، ثم احتدم الخلاف بين القوم الذين أعثرو عليهم لأن الفتية ماتوا بعد الإعثار عليهم فيتصور في هذا النزاع مقطع الحواري بين طرفين يرى الأول منهما البناء عليهم وسترهم عن أعين الناس وربهم أعلم بهم وبحالهم، في حين يرى الطرف الثاني الذي يمثل الفئة الغالبة على أمر الفتية بناء مسجد عليهم، وذكر اتخاذ المسجد يشير إلى أن الذين غلبوا على أمر الفتية هم المسلمون لأن الملك كان مسلما فهم الغالبون وقيل لأنهم على دين الفتية فهم يغلبون في أمرهم .(٤٢)انظرالجزائري،٢٠٠٣، ٣/ ٢٤٥؛ الشوكاني، ٢٠٠٩، ٢/١٠-١١ .

ثانيا : قصة المؤمن وصاحب الجنتين :

قال تعالى:(وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ

شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا * لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا * وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا) سورة الكهف : ٣٢-٤٢

تمثل هذه القصة في غالبها مشهد حواري بين رجلين أحدهما صاحب الجنتين نموذجا لرجل ميسور الحال له نصيب وافر من متاع الدنيا وأسباب الثراء فتذهله تلك الثروة ويغريه ذلك المتاع فينسى المسبب الأول والمتفضل عليه بذلك النعيم ويظن خلود حاله وأفضلية مآله على تقدير التحول وعدم الخلود، والآخر يمثل نموذجا لرجل فقير مؤمن موحد بربه معتز بإيمانه.

يبدأ السياق الكريم بمشهد يصف الجنتين فهما جنتان مثمرتان من كروم وزروع متنوعة، محفوفتان بالنخيل من جميع الجوانب تتوسطهما الزروع، ويجري بينهما نهرا يكفي صاحبهما مؤونة السقي، فتؤتي الجنتان ثمارهما كاملة لاتنقص منها

شيء. (٤٣) انظر قطب،١٩٩٢، ٤/ ٤٥٣٩-٤٥٤٠؛ الشوكاني،٢٠٠٩،٢/ ١٧؛ الطبري، جامع البيان،١٩٩٤،٥/١٠٠

ثم يأخذ بعرض المشهد الحواري بين الرجلين حيث الذي كان مطلعه لصاحب الجنتين الذي يمضي بصاحبه الفقير الصالح في إحدى جنتيه وقد ظلم نفسه في التكبر وانكار النعم والكفر والجحود ونسي شكر الله تعالى على ماهو فيه من الخير فنظر إلى صاحبه الفقير متباهيا بملكه وكثرة نسله وأعوانه، ثم يتمادى في حديثه متعديا على حدود الله تعالى في هذه المرة فيعلن عن شكه وكفره بفناء الدنيا وقيام الساعة إذ يخيل له أن هذه الجنان المثمرة ومافيها من نخيل وزروع وثمار لن يأتيها مايضرها " ماأظن أن تبيد هذه أبدا " فهي أبدية خالدة، ثم يصعد في كفره وطيشه فيعلن انكاره البعث ويتطاول على ربه مقسما بحسن مآله على افتراض وتقدير قيام الساعة يقول الطبري في تفسيره ص ١٠٢ " فقال:" ولئن رددت إلى ربي " فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه:" لأجدن خيرا منها منقلبا " يقول: لأجدن خيرا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردا، يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه".

هنا تنتقل المساحة الحوارية للطرف الثاني وهو المؤمن الذي تنتفض فيه عزة الإيمان إذ الأمر لم يتوقف عند تعييره ووصفه بالفقر وقلة النفر بل يتخطى إلى حدود الله تعالى ويتعدى إلى التشكيك بربوبية الله تعالى وإنكار أصل من أصول عقيدة التوحيد ألا وهو الإيمان باليوم الآخر، فينكر على صاحبه هذا الإعتقاد

المكفر ويعظه زاجرا بتذكيره بأصل خلقه من تراب حيث خلق منه أباه آدم عليه السلام فهو أصله وأصل جميع البشر، مشيرا بذلك إلى الإستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانية فقدرة الله تعالى على الخلق ابتداء تقتضي الإيمان بقدرته على الإعادة والبعث تاليا. (٤٤) انظر القرطبي،١٩٩٣، ٥/ ٢١٣؛ الشوكاني،٢٠٠٩،٢/ ١٨

ثم يشنع عليه موقفه التشكيكي ويقابل مقالته المكفرة اعتزازه بعقيدته وايمانه بربه فيعترف بعبوديته لربه ويقر له بالوحدانية والربوبية وينفي عن نفسه الشرك الذي وقع به صاحبه إذ أن جحوده البعث تشكيك في كمال قدرة الله تعالى عليه وتعجيزه عنه ومن عجزه سبحانه شبهه بخلقه فهو مشرك. (٤٥) انظر القرطبي، ١٩٩٣،٥/ ٢٦٤

ثم ينصحه ويوجهه إلى الأدب الواجب في التعامل مع النعم وتفويضها لخالقها " ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله " أي هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ماأنعم به عليك وأعطاك من المال والولد مالم يعط غيرك وقلت: ماشاء الله لاقوة إلا بالله، أي الأمر ماشاء الله والكائن ماقدره الله "(٤٦) الزحيلي،١٩٩٨،١٥/ ٢٧٨ ، فتعترف بعبوديتك وعجزك أمام قدرته عز وجل فما تيسر لك من عمارتها واجتمع لك من أموالها إنما هو بقدرة الله تعالى ومعونته لابقوتك وقدرتك ولو شاء لسلبك هذه النعمة.

ثم لما لم يجدي ذلك النصح والتوجيه نفعا ولم يتراجع الكافر عن تماديه في كبره وكفره يرتفع المستوى الحواري إلى الدعاء ورجاء الله تعالى في إنهاء ذلك الصراع بالعدالة الربانية لتتجلى العبرة لصاحبه الكافر، فيرجو من ربه أن يقلب حال كليهما فيرزقه جنة خيرا من جنته في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما (٤٧) انظر القرطبي،١٩٩٣، ٥/٢٦٥؛ الشوكاني،٢٠٠٩، ٢/ ١٨، ويهلك جنة هذا الكافر بعذاب من السماء يصيرها أرض ملساء خرابا لاينبت فيها نبات ولايثبت عليها قدم لملاستها أو يصبح ماؤها غائرا في الأرض فلا يمكنه طلبه أو طلب غيره عوضا عنه.(٤٨) انظر القرطبي،٤،١٩٩٣/ ٢٦٥؛ الشوكاني،٢،٢٠٠٩/١٩؛ الطبري، ١٩٩٤، ٥/ ١٠٣-١٠٤

إلى هنا تغلق المساحة الحوارية على رجاء المؤمن في تجلي العبرة والعدالة الربانية وينتهي بها المشهد الحواري بين الرجلين .

بعد ذلك يكشف السياق الكريم عن نتيجة ذلك الحوار التي تخبر بأن رجاء المؤمن قد تحقق وأن العدالة الربانية قد تجلت فأحيط فعلا بتلك الجنان فهي خاوية على عروشها وقد هلك مافيها من ثمر وزروع وصاحبها يقلب كفيه وحسرة على ماله وندما على إشراكه بربه.

ثالثا: قصة موسى والعبد الصالح:

قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا *وأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا

أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) الكهف:٦٠٨٢.

تنتظم أغلب مشاهد هذه القصة في مقامين حواريين أحدهما بين موسى وفتاه"يوشع بن نون" (٤٩)الشوكاني، ٢٠٠٩، ٢٦/٢؛ الطبري،١٩٩٤، ١١٦/٥؛ ابن كثير، ٢٠٠٠، ٨١٠، والآخر بين موسى والعبد الصالح" الخضر عليه السلام" (٥٠) الشوكاني، ٢٠٠٩، ٢٦/٢-٢٧ ؛ الطبري،١٩٩٤، ١١٦/٥؛ ابن كثير،٢٠٠٠، ٨١٠ ؛ القرطبي، ١٩٩٣، ٨-١٢

إذ تستهل القصة بمطلع حواري بين موسى وفتاه يوشع بن نون يعلن فيه موسى عليه السلام عن عزمه على السفر إلى مجمع البحرين وتصميمه على بلوغ تلك الغاية مهما تكلفت من مشقة أو استغرقت من وقت طويل، يكشف السياق بعد ذلك عن الهدف الذي كان يطلبه موسى من تلك الرحلة، كما أن السياق لم يجر حديثا للفتى في هذا المقطع الحواري مما يجعله أحادي الطرف وإن كان يقتضي الثنائية في مضمونه.

ثم يأخذ السياق منحى السرد القصصي فبعد بلوغهما مجمع البحرين يصيبهما النوم هناك، (٥١) انظر ابن كثير، ٢٠٠٠، ٨١٠ ؛ القرطبي،١٩٩٣ ، ١٠/٦ ، فيفقدان العلامة على تحصيل المطلوب " قال المفسرون: إنهما تزودا حوتا مملحا في زنبيل، وكانا يصيبان منه عند حاجتهما إلى الطعام، وكان قد جعل الله فقدانه أمارة على وجدان المطلوب، والمعنى أنهما نسيا بفقد أمره وقيل الذي

نسي إنما هو فتى موسى، لأنه وكل أمر الحوت إليه، وأمره أن يخبره إذا فقده، فلما انتهيا إلى ساحل البحر وضع فتاه المكتل الذي فيه الحوت فأحياه الله، فتحرك واضطرب في المكتل، ثم انسرب في البحر"(٥٢) الشوكاني، ٢٠٠٩، ٢٧/٢، فيتجاوزا ذلك الموضع مكملين المسير فيتكشف السياق عن موقف حواري بين موسى وفتاه يصور شعورهما بالتعب والإعياء الذي يتطلب توقفهما لتناول الغداء فما أن يطلب موسى من فتاه احضاره حتى يتذكر هذا الأخير الحادثة الغريبة في فقدان الحوت في البحر وماوقع منه من نسيان اخباره بذلك، فيتنبه موسى عليه السلام أن هذا هو المقصود الذي خرج لطلبه فيختار العفو ويتواضع لمراجعة الصواب فلم يعتب على فتاه ولم يثرب عليه بل يأخذ بما يلزم ليصل إلى مقصوده، فيعود هو وفتاه يقصان أثرهما الذي كانا قد سلكاه ابتداء، فيكشف السياق الستار عن تلك الغاية التي من أجلها اعتزم موسى عليه السلام هذه الرحلة وهي لقاء هذا العبد الصالح الذي اختصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى وقد وصفه الله تعالى بالرحمة التي هي من لوازم التعليم في حق المعلم ودواعي قبول تعليمه وبعد أثره، وقيل يقصد بها النبوة أو النعمة التي أنعم الله بها عليه(٥٣) انظر الشوكاني، ٢٠٠٩، ٢٧/٢؛ القرطبي،١٩٩٣، ٦/ ١٣ .

ثم ينتقل السياق الكريم إلى المقام الحواري الثاني الذي تنتقل فيه الثنائية إلى موسى والعبد الصالح في أربعة مقاطع حوارية تتخلل ماتبقى من مشاهد القصة: فيبدأ المقطع الأول بلقاء موسى بالخضر وسؤاله متلطفا مستئذنا منه أن يكون تابعا له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم، وفيه مبالغة بحسن الأدب وهو

ماينبغي أن يكون عليه سؤال المتعلم من العالم والأدب اللازم في محادثته وحواره، كما وفيه تواضع العالم الفاضل لطلب فرع من فروع العلم ممن هو دونه إن كان مما يتقن فيه وتبعيته له وإن تفاوتت المراتب(٥٤) انظر الشوكاني، ٢٠٠٩، ٢٨/٢ ؛ القرطبي، ١٩٩٣، ١٣/٦، ولكون علم هذا الرجل من العلم اللدني بالغيب الذي اطلعه الله عليه – كما سيتضح من سياق القصة– فإنه يتوقع مخالفة موسى عليه السلام له وعدم صبره على صحبته لما سيراه من ظواهر علمه التي قد تصطدم بالمنطق العقلي أو الأحكام الشرعية الظاهرة مع كونه صاحب شرع لايسوغ له السكوت عن منكر فضلا عن جهله بمآل الأمر الذي يطلب منه الصبر عليه مما يجعله أشد عجزا على تحمله، فيجيبه بذلك التوقع مؤكدا بعلة عدم استطاعته "إنك لن تستطيع معي صبرا* وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا" الكهف:٦٧–٦٨ ، إلا أن موسى عليه السلام يبادره بعزمه على الصبر والطاعة مستعينا بالله" قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولاأعصي لك أمرا"، عندها يشارطه الخضر على الصبر وعدم السؤال عن الأمور ابتداء حتى يبتدأه هو ببيان وجهها وماتؤول إليه، وهو مايقتضي دوام الصحبة، فيجيب موسى بالرضا والقبول كما يفهم من السياق، وفيه تأني المتعلم وتحليه بالصبر وعدم مفاتحة من صحبه من أهل العلم وقد غلب على ظنه أنه سينتفع بعلمه لئلا يتعجل فيفوت على نفسه ماتهيأ له من العلم.

ثم ينقلنا السياق الكريم إلى المشهد الأول من رحلة موسى مع الخضر إذ هما يركبان في السفينة حتى إذا استقلت بهم في البحر يعمد الخضر إلى أحد ألواحها

فيقتلعه(٥٥)انظر ابن كثير، ٢٠٠٠، ٨١٣ ؛ الشوكاني، ٢٠٠٩، ٣٠/٢؛ القرطبي،١٩٩٣، ١٤/٦، وهنا ينسى موسى عليه السلام عزمه على الصبر وقبوله الشرط أمام هذا الفعل الذي يؤدي بالسفينة وركابها لخطر الغرق فيتصور الموقف الحواري الثاني بين موسى والخضر باندفاع الأول منكرا على صاحبه فعلته تلك " أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا" الكهف:٧١، إلا أن الخضر بحلم المعلم ولطفه يذكره بما تقدم من قوله له سابقا مؤكدا على صحة ماتوقعه منه بداية اللقاء، فيتنبه موسى إلى ذلك ويعتذر بنسيانه ويطلب من الرجل ألا يؤاخذه به ولايرهقه بالمراجعة والتذكير أو يستثيره بفعل مايخالف شريعته لئلا يضيق بصحبته (٥٦) انظر قطب، ١٩٩٢،٤/٢٢٨٠ ؛ الجزائري، ٢٠٠٣، ٢ /٣٦٣، فيقبل الخضر اعتذاره كما يفهم من السياق ويمنحه فرصة أخرى، وفيه الحلم وسعة الصدر حال معارضة المقابل والتماس العذر له وقبول اعتذاره ولاسيما في حق المعلم مع طلابه.

ثم يواصل السياق الكريم إلى عرض المشهد الثاني من الرحلة إذ ينطلقان في البحر فيجدان غلمانا يلعبون فيعمد الخضر إلى واحد من بينهم فيقتله" وإن كانت الأولى خرق السفينة واحتمال غرق من فيها فهذه قتل نفس قتل عمد لامجرد احتمال. وهي فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره لوعده"(٥٧) قطب،١٩٩٢، ٢٢٨٠/٤، فيتصور المقطع الحواري الثالث بينهما إذ ينكر موسى عليه هذا الفعل الشنيع الذي لايستطيع أن يتأول له الأسباب فالغلام بريء ولم يبلغ الحلم حتى يؤاخذ على مايفعل "قال أقتلت نفسا

زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا" الكهف:٧٤، فيعود الخضر لتذكيره مرة أخرى بقوله في أول لقاءهما إلا أنه يرفع المستوى في هذه المرة بزيادة لفظ " لك " عتبا عليه لتكرار خطأه في نقض الإتفاق، فيتدارك معترفا بخطأه ويجعل لنفسه فرصة أخيرة يقطع الخضر فيها صحبته في حال تكراره للسؤال.

ثم ينتقل السياق لعرض المشهد الثالث والأخير من تلك الرحلة إذ هما في قرية يأبى أهلها أن يقدموا لهما واجب الضيافة فيجدا فيها جدارا مائلا أوشك على السقوط فيعدل الخضر ميله حتى يعود كما كان، فيثير هذا التصرف تعجب موسى واستغرابه لما فيه من التناقض مع ماهم في من حال؛ إذ كيف يشغل هذا الرجل نفسه باقامة الجدار في قرية لم يقدم لهم أهلها الطعام فضلا عن أنه لم يطلب على فعله أجرا يأكلان منه مع أنه كان بإمكانه ذلك، فيندفع موسى عليه السلام ويسأله في مقطع حواري أخير بينهما محرضا له على أخذ الأجر "قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا"الكهف:٧٧، فتكون مقالة موسى هنا الفاصلة في نهاية صحبته للخضر لأنه كان قد اشترط على نفسه في الحادثة السابقة ذلك فيجيبه الخضر بجواب شرطه واضعا الحد النهائي لصحبته" هذا فراق بيني وبينك" الكهف:٧٨، خاتما صحبته وحواره معه ببيان عاقبة أفعاله التي لم يصبر موسى عن ترك المسألة فيها؛ فتلك السفينة التي خرقها كانت لضعفاء لايقدرون على دفع مايقع عليهم من الظلم يؤجرونها بما يحصل لهم بعض القوت وانما أراد عيبها لأنهم يمرون على ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا فبذلك العيب تنجو السفينة لأهلها، وأما الغلام الذي لم يظهر عليه مايستحق به القتل فإنه كافر

طاغ في طبيعته ومع تزايد الزمن يتجلى فيه ذلك وكان له أبوان صالحان فخشي الخضر إن عاش أن يرهقهما بكفره أو يحملهما حبه على اتباعه، فأراد بإرادة الله قتله لعل الله يرزقهما بخير منه صلاحا ودينا وبرا بوالديه، وأما الجدار الذي أقامه في تلك المدينة ولم يطلب عليه أجرا مع أن أهل القرية لم يضيفوهما فكان لصغيرين يتيمين في المدينة وتحته مالا لهما لن يستطيعا الدفاع عنه لو كان قد ترك الجدار يسقط وكان صلاح أبوهما مقتضيا لرعاية ولديه في طفولتهما حتى يكبرا ويبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته، ثم ينفض يديه ويرد علمه إلى ربه ورحمته التي اقتضت منه تلك التصرفات ولم تكن منه في سبيل الاجتهاد أو الرأي، وبهذا ينتهي هذا المقطع الحواري الذي تنتهي به القصة، وفيه مايجب على المعلم من حق للطالب بتوضيح ماغفل عنه أو جهله خلال تعليمه.

رابعا: قصة ذي القرنين:

قال تعالى:(وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثم أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا *كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا *ثم أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا)الكهف:٨٣-٩٨

يستهل المشهد القصصي لذي القرنين بمطلع حواري أحادي ممثل بالخطاب الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه للإجابة عن أسئلة اليهود بطريقة الوحي الإلهي لعضد دعوته وتأييد رسالته وتفنيدا لإدعاءات المشركين مع اكتفاء الطرف متلقي الخطاب "الرسول صلى الله عليه وسلم" بالإنصات والإستماع المطلق وفق مايقتضيه مقام التلقي حتى النهوض للبلاغ.

ثم يبدأ العرض القصصي ضمن إطار الحوار الآحادي لنبأ ذي القرنين ورحلاته الثلاث في مغارب الأرض ومشارقها وبناؤه سد يأجوج ومأجوج فقد أوتي العلم وأسباب القيادة والتمكين في الأرض فاتبع ما يسر له من ذلك ومضى في رحلته الأولى التي خاض مهامه فيها في مغرب الأرض حيث وجد قوما لايعلم حالهم –إذ لم يجر السياق في ذلك ذكر– فيتصور فيهم موقف حواري بينه وبين ربه عز وجل قيل إنه وحيا وقيل إلهاما (٥٨)انظر البغدادي،زاد المسير في علم التفسير، ١٣٠/١٩٨٧،٥؛ القرطبي ،١٩٩٣، ٣٥/٦ ، وقيل حكاية حاله عندما وجدهم انظر (٥٩) قطب،١٩٩٢، ٤٥٦٩/٤ إذ فوض له ربه التصرف في أمرهم والفصل فيه بمقتضى خيارين : تعذيبهم أو الإحسان فيهم، فيختار ذي القرنين الإمهال والحسنى ويعلن عن دستوره في سياسة البلاد التي مكنه الله منها القائم على العدل والإصلاح فمن كان ظالما مشركا فله منه العذاب الدنيوي ثم يرد إلى ربه في الآخرة فيلقى عذابا أشد وأفظع، ومن كان مؤمنا صالحا فله الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة.

ثم يواصل السياق الكريم إلى عرض الرحلة الثانية لذي القرنين حيث يعود إلى مشرق الأرض ميسر له أسباب التمكين فيجد قوما لم يكن لهم مايسترهم من الشمس لطبيعة أرضهم التي لايستقر عليها بناء فلا يجدون مايسترهم عند طلوعها (٦٠)انظرالقرطبي، ١٩٩٣، ٣٧/٦؛ البغدادي،١٣١/١٩٨٧،٥ وقيل لايجدون مايسترهم من اللباس (٦١) انظر الشوكاني، ٢٠٠٩، ٢/ ٣٦ ، فيقضي فيهم كقضاءه في أهل المغرب من تعذيب الظالمين والإحسان إلى المؤمنين وإن

لم يتكرر بيان ذلك لعدم الحاجة إليه وقد علم الله ماعنده من الصلاحية للملك والإستقلال به. قطب(٦٢)١٩٩٢، ٢٢٩٢/٤؛ الشوكاني، ٢٠٠٩، ٣٦/٢.

ثم ينقلنا السياق الكريم الى مشهد الرحلة الثالثة لذي القرنين ممكنا له في الأرض ووصوله إلى منطقة متوسطة بين حاجزين طبيعيين أو صناعيين (٦٣) انظر قطب،١٩٩٢، ٢٢٩٢/٤؛ الطبري، ١٩٩٤، ٥/ ١٣١ ؛ الشوكاني، ٢٠٠٩، ٣٧/٢، ولقاءه هنالك قوما متخلفين لايفقهون قولا توسموا في خصال الصلاح والقوة والفطنة فيتصور بينه وبينهم موقف حواري أخير إذ يعرضون عليه أن يقيم لهم سدا بينهم وبين يأجوج ومأجوج الذين يغيرون عليهم من وراء الحاجزين ويعثون في أرضهم فسادا وقد عجزوا عن دفع أذاهم الذي بات يهدد استقرارهم وذلك مقابل خراج من المال يدفعوه إليه فيجيبهم وفقا لمنهج الحاكم الصالح القانع بما آتاه ربه في الدنيا وبما ادخره له في الآخرة "مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما" فيأبى قبول عرضهم من المال ويختار ما أوتي من خير وما مكن له من أسباب ويتطوع لبناء السد ويطلب منهم العون والمساعدة بما يملكونه من قوة، وهذا تأييد من الله تعالى لذي القرنين في هذه المحاورة؛ فإن القوم لو جمعوا له خرجا لم يعنه أحد ولوكلوه إلى البنيان، ومعونته بأنفسهم أجمل به وأسرع في انقضاء هذا العمل(٦٤)القرطبي،٦،١٩٩٣/٤٠-٤١ ؛ وانظر قطب،١٩٩٢، ٢٢٩٢/٤ ، ثم يصورالسياق المشهد العملي لبناء السد حيث يوجه لهم ذي القرنين سلسلة من الأوامر التعليمية لإستثمار طاقاتهم وتعزيز إعتمادهم على أنفسهم، فيبدأ بالعمل " آتوني زبر الحديد" فجمعوا له قطع الحديد، وكومها

في الفتحة بين الحاجزين، فأصبحا كأنهما صدفتان تغلفان ذلك الكوم بينهما."حتى إذا ساوى بين الصدفين" وأصبح الركام بمساواة القمتين"قال: انفخوا" على النار لتسخين الحديد"حتى إذا جعله نارا" كله لشدة توهجه واحمراره"قال : آتوني أفرغ عليه قطرا"أي نحاسا مذابا يتخلل الحديد، ويختلط به فيزيده صلابة"(٦٥) قطب،١٩٩٢، ٢٢٩٢/٤-٢٢٩٣ ، وبذلك يغلق الطريق على يأجوج ومأجوج فلا يستطيعون أن يعلوا عليه لإرتفاعه وملاسته ولا نقبه لصلابته،(٦٦) انظر الشوكاني،٢٠٠٩، ٣٩/٢ ، وينظر ذو القرنين إلى ضخامة ماقام فيه من العمل فينفض يديه ويتبرأ من قوته ويرد هذا العمل إلى رحمة ربه وتوفيقه له معلنا إيمانه بالبعث بمآل هذا السد عند اقتراب الساعة واستواءه بالأرض.

الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج وأبرز التوصيات:

أولا: النتائج:

١- اتسام الحوار في القصص القرآني بالواقعية و قيامه على منهجية طلب الحقيقة وتقرير الحق بما يتوافق مع معطيات العقل ومتطلبات الفطرة.

٢- أن المشاهد الحوارية المتضمنة في القصص الوارد في السورة تنطوي ضمن موقف حواري أحادي الطرف ممثل بالسرد الرباني للقصة الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم في إجابته عن تساؤلات المشركين واليهود.

٣- تنوع الأساليب والمناهج في الحوار القرآني بما يتناسب مع المقصد المراد تحقيقه.

ثانيا: التوصيات:

١- ضرورة تضمين المناهج والكتب الدراسية ما يستجد من نتائج الدراسات المتعلقة بتفسير سور القرآن الكريم وتوظيفها في هيئة أنشطة ومشاريع يترك للطالب فيها مجالا لإستنباط الآداب والأساليب والمقاصد القرآنية.

٢- إقامة ندوات تثقيفية للتعريف بأساليب الحوار القرآني ومناهجه والآداب الحوارية المستنبطة من سورة الكهف.

المراجع

١- ابن كثير، إ، ٢٠٠٠، **تفسير ابن كثير**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٨١٠- ٨١٨

٢- ابن منظور، م، ١٩٩٠، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ج٤: ٢١٧- ٢١٨، ج١١: ١٠٣

٣- آبادي، ف، ٢٠٠٥، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١: ص ٣٨٠- ٣٨١ ، ٩٧٦

٤- البخاري،م،**صحيح البخاري**، ٢٠٠١ ، المكتبة الشاملة،ج٦: ١٨٨

٥- البغدادي، ع، ١٩٨٧، **زاد المسير في علم التفسير**، دار الفكر، بيروت، ج٥: ص ١١٤- ١٣٥

٦- البقاعي، إ، د.ت، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،٢- ٣، ١٥٥

٧- التونسي، م، ١٩٨٤، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، تونس،ج ١٥: ٢٤١- ٢٤٣، ٢٦١- ٢٩٤، ٣٢٠- ٣٢٧، ٣٦٣- ٣٧٨، ج١٦ : ١- ٣١

٨- الثقفي، أ، ٢٠٠٧، **البرهان في تناسب سور القرآن**، دار ابن الجوزي،المملكة العربية السعودية، ١٢٦- ١٢٧

٩- الثقفي، س، ٢٠١٣، **الحوار في القرآن وتنوع أساليبه**، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية، ١٣- ١٤، ١٨- ٢١، متاح على الرابط: www.alarabiahconference.org

١٠- الجزائري، ج، ٢٠٠٣، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،ج٣: ٢٣٩- ٢٥١، ٢٥٥- ٢٥٩، ٢٧١- ٢٨٦

١١- الحاكم، م، ١٩٩٠، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢: ٣٩٩

١٢- الخطيب، ع، د.ت، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، دار المعرفة، بيروت، ١٢٤، ١٢٩

١٣- الرازي، م، ١٩٩٩، **مفاتيح الغيب- التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢١: ٤٢٨- ٤٢٩، ٤٤١- ٤٤٧، ٤٦٣- ٤٦٦، ٤٨١- ٤٨٢، ٤٩٤- ٥٠٠

١٤- الرازي، أ، ١٩٧٩، **مقاييس اللغة**، المكتبة الشاملة، ج١: ٤٣٣- ٤٣٤، ج٢: ١١٧

١٥- الرازي، ١٩٩٩، **مختار الصحاح**، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، صيدا- بيروت،ج١: ٨٤

١٦- الراغب الأصفهاني، ١٩٩٢، **مفردات ألفاظ القرآن**، الدار الشامية- دار القلم، بيروت- دمشق، ٢٦٢

١٧- الزحيلي، و، ١٩٩٨، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، ج١٥: ٢٠٧- ٢٣٦، ٢٨٥- ٢٩٩، ج١٦: ١- ٣٢

١٨- السعدون،ن- الطحان،ي، ٢٠٠٨،**الحوار في القصة القرآنية – قصة موسى عليه السلام أنموذجا**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م ٧، ع٤.

١٩- السيوطي، ج، ١٩٨٦ ، **تناسق الدرر في تناسب السور**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٩٩- ١٠١

٢٠- الشرقاوي، أ، ٢٠٠٧، **التفسيرالموضوعي لسورة الكهف**، جامعة الشارقة، مجموع بحوث الكتاب والسنة.

٢١- الشوكاني،م، ٢٠٠٩، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الدار العصرية، المملكة العربية السعودية، ج٢: ٦- ١٣، ١٧- ١٩، ٢٦- ٣٩

٢٢- الطبري، ١٩٩٤ ، **تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مؤسسة الرسالة،بيروت،ج٥: ١٠٠- ١٠٥، ١١٦- ١٣٤

٢٣- القرطبي، م، ١٩٩٣، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت،ج٥: ٢٣١- ٢٦٧، ج٦: ٨- ٤٣

٢٤- المراغي، أ، ١٩٤٦، **تفسير المراغي**، ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر،م ١٥، ج١٥: ١٢٩- ١٣٨، ١٤٨- ١٥٢، ١٧٥- ١٨٣، ج١٦: ٣- ٩، ١٥- ١٩

٢٥- المولى وآخرون، ١٩٩١، **قصص القرآن**، دار الجيل، بيروت،٢٣١- ٢٣٩، ١٤٢- ١٤٧

٢٦- النيسابوري، م، د.ت، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ص ٥٥٥

٢٧- حميد، ص،١٩٩٤، **أصول الحوار وآدابه في الإسلام**، دار المنارة، المملكة العربية السعودية، ص:٦- ٢٠

٢٨- زارع،آ- شاهي، س، **الحوار القصصي في القرآن الكريم قراءة في ضوء مفاهيم اللسانيات الحديثة**، متاح على الرابط: www.uokufa.edu.iq

٢٩- شحاته، ع، ١٩٧٦، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص:٢٠٠- ٢١٢

٣٠- عساكر، ي، ٢٠٠٥، **الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته**، جامعة الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، ٢٧

٣١- فضل الله، م، ١٩٩٦، **الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته**، دار الملاك ، بيروت،٤٩- ٥٤

٣٢- قطب، س، ١٩٩٢، **في ظلال القرآن**، دار الشروق ، بيروت- القاهرة، م٤ ،ج٤: ٢٢٦٨- ٢٢٧١، ٢٢٧٦- ٢٢٩٣